لولا محذوف وتقديره لاذن لكم في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك لهذا السبب **ليدخل الله في رحمته من يشا** اى في دين الاسلام من يشا اى من اهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها **لو تزيلوا** اى تميزوا اهل المومنين من الكفار **لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما** اى بالسبي والقتل بايديكم وقيل لو عذبنا جواب لكلامين احدهما لولا رجال والثاني لو لا تزيلوا ثم قال ليدخل الله في رحمته من يشا يعني المومنين والمومنات في رحمته اى في جنته قال قتادة في الاية ان الله تعالى يدفع بالمومنين عن مشركي مكة قوله تعالى **اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية** اى الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت ومنعوا الهدى محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وانكروا ان يكون محمد رسول الله وقيل قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فيتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت هذه **حمية الجاهلية** التي دخلت قلوبهم **فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين** اى حتى لا يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم **والزمهم كلمة التقوى** قال ابن عباس كلمة التقوى لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال علي وابن عمر كلمة التقوى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير وقال عطا الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم **وكانوا احق بها** اى من كفار مكة **واهلها** اى كانوا اهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اهل الخير والصلاح **وكان الله بكل شي عليما** يعني من امر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وامر المومنين وما كانوا يستحقونه من الخير قوله تعالى **لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق** سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه يدخل المسجد الحرام هو واصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوا مكة عامهم فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون اين روياه التي راها فانزل الله هذه الاية ودخلوا في العام المقبل وروي عن مجمع بن جارية الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قالوا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر او فتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده ففيه دليل ان المراد من الفتح هو صلح الحديبية وتحقيق الرويا كان في العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق اخبر ان الرويا التي اراها اياه في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد حق وصدق بالحق اى اراه حقا وصدقا وقيل يجوز ان يكون بالحق قسما لان الحق من اسما الله تعالى او قسما بالحق الذي هو ضد الباطل وجوابه **لتدخلن المسجد الحرام** وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن روياه فاخبر الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك **ان شا الله امنين** قيل انما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده الادب وتاكيدا لقوله ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله وقيل ان بمعنى اذ مجازه اذ شا الله وقيل علم الله ان بعض الذين كانوا عام الحديبية يموت فوقع الاستثناء لذلك وقيل الدخول في عام الحديبية وكان المومنون يريدون الدخول ويابون الصلح فقال لتدخلن المسجد الحرام ولكن لا بقوتكم وارادتكم ولكن بمشية الله تعالى وقيل الاستثنا واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شا الله بكم لاحقون مع انه لا يشك في الموت **محلقين روسكم ومقصرين** اى كلها او اخذون من بعض شعوركم **لا تخافون** اى من عدو في رجوعكم لان قوله امنين في حال الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله لا تخافون يرجع الى كمال الامن بعد الاحرام وفي حال الرجوع **فعلم ما لم تعلموا** يعني علم ان الصلاح كان في الصلح وتاخير الدخول وكون ذلك سبب لوطي المومنين والمومنات وقيل علم ان دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا انتم فظننتم انه في السنة الاولى

فجعل

فجعل من دون ذلك اى من قبل دخولكم الحرم **فتحا قريبا** يعني صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل هو فتح خيبر قوله عز وجل **هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق** هذا البيان لصدق الرويا وذلك ان الله لا يري رسوله صلى الله عليه وسلم ما لا يكون فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون ذلك سببا للضلال فحقق الله امر الرويا بقوله لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وبقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى **ليظهره على الدين كله** اى ليعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها دونه **وكفى بالله شهيدا** اى في انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المومنين وذلك انهم تاذوا من قول الكفار لو نعلم انه رسول الله ما صددناه عن البيت فقال تعالى وكفى بالله شهيدا انه رسول الله ثم قال **محمد رسول الله** اى هو محمد رسول الله الذي سبق ذكره في قوله ارسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدا فقال تعالى **والذين معه** يعني اصحابه المومنين **اشدا على الكفار** اى غلاظا اقويا كالاسد على فريسته لا تاخذهم فيهم رافة **رحما بينهم** اى متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالوالد مع الولد كما قال في حقهم اذلة على المومنين اعزة على الكافرين **تراهم ركعا سجدا** اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها **يبتغون** اى يطلبون **فضلا من الله** يعني الجنة **ورضوانا** اى ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص بعمله لله يطلب اجره من الله والمرائي بعمله لا يبتغي له اجر وذكر بعضهم في قوله والذين معه يعني ابا بكر الصديق اشدا على الكفار عمر بن الخطاب رحما بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة **سيماهم** اى علامتهم **في وجوههم من اثر السجود** واختلفوا في هذه السيما على قولين احدهما ان المراد في يوم القيمة قيل هو نور وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيامة انهم سجدوا لله في الدنيا وهو رواية عن ابن عباس وقيل يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيمة يعرفون بذلك والقول الثاني ان ذلك في الدنيا وذلك انهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذي ترون ولكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل في الصلاة ويعرف ذلك في رجلين احدهما سهر الليل في الصلاة والعبادة والاخر في اللهو واللعب فاذا اصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر في وجه المصلي نور وضيا وعلى وجه اللاعب ظلمة وخيالة وقيل هو اثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب لا على الاثواب قال عطا الخراساني دخل في هذه الاية كل من حافظ على الصلوات الخمس **ذلك مثلهم في التوراة** يعني ذلك الذي ذكر من صفتهم في التوراة وتم الكلام هنا ثم ابتدا بذكر نعتهم وصفتهم في الانجيل فقال تعالى **ومثلهم** اى صفتهم **في الانجيل كزرع اخرج شطاه** اى فراخه قيل فراخه هو نبت مما اخرج بعد فهو شطاه **فازره** اى قواه واعانه وشد ازره **فاستغلظ** اى غلظ ذلك الزرع وقوي **فاستوى** اى تم وتلاحق نباته وقام **على سوقه** جمع ساق اى على اصوله **يعجب الزراع** اى يعجب ذلك الزرع زراعه وهذا مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل انه يخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع كزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم اخرج شطاه ابو بكر فازره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه علي بن ابي طالب يعجب الزراع يعني جميع المومنين **ليغيظ بهم الكفار** قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعد ما اسلم لا نعبد الله سرا بعد اليوم وقيل هو قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن انس من اصبح وفي قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية

فصل في فضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم عن عايشة قالت سال رجل النبي صلى الله عليه وسلم اى الناس خير قال القرن الذي انا فيه ثم الثاني ثم الثالث قوله خير الناس

Copyright © King Saud University